

نهاية للثورة وتهيئة اسباب النجاح للمؤتمر « ومع ذلك فان الثورة في فلسطين لم تكن قد هدأت (حصيلة شباط ١٩٣٩ كانت ، رسيا : ١١٠ قتلى و ١١٢ جريحا في ١٢ معركة ضد البريطانيين . تفتيش ٣٩ قرية — منع التجول في ٣ مدن ٣ مرات . اعتقال حوالي ٢٠٠ قروي — حرائق في ٥ دوائر حكومية — ، اعدام ١٠ عرب بتهمة حمل سلاح . هجمات على ١٠ مستعمرات يهودية . نسف أنابيب النفط مرة ، تفجير قطار حيفا واللد . انشاء نقطة تفتيش داخل المسجد الاقصى) . وان الارقام البريطانية التي يقدمها وزير المستعمرات البريطاني تشير الى أنه « بين ٢٠ كانون الاول و ٢٠ شباط (اي في شهرين) وقع ٣٤٨ حادث اغتيال و ١٤٠ حادث تخريب و ١٩٠ حادث خطف و ٢٢ سرقة وانفجار ٩ الغام و ٣٢ قنبلة وخسر الجنود ١٨ قتيلًا و ٣٩ جريحا وخسر الاعالي ٨٣ قتيلًا و ١٢٤ جريحا ، ولا تشمل هذه الارقام ما اصاب الثوار .. » (٩٤) .

وقد استمر الامر على هذا المنوال حتى الشهر الذي نشبت فيه الحرب العالمية الثانية (ايلول ١٩٣٩) تكبد خلالها الفلسطينيون العرب خسائر لم يكن من الممكن تعويضها : كانت القيادة ، بالإضافة لكل روح المساواة التي تعيشها ، موجودة خارج البلاد ، أما القيادات المحلية الناشئة فقد أخذت تستط واحدة وراء الاخرى في ميادين القتال ، وكان العنف البريطاني قد وصل الى ذروته ، وبدأ العنف الصهيوني يصعد باضطراد منذ اواسط ١٩٣٧ ، ولا شك ان التركيز البريطاني والاصرار الذي رافقه في الساحة الفلسطينية قد انهك الثوار الذين باتوا ، مع تراوح قياداتهم ، غير عارفين على وجه الدقة من كانوا يحاربون ولماذا ؟ فتارة كانت القيادة تتحدث عن الصداقة التقليدية والمصالح المشتركة ، مع بريطانيا ، وتارة تصل الى حد قبول منح ادارة ذاتية لليهود في المناطق التي يتواجدون فيها ، ولا شك ان تذبذب القيادة ورخاوتها وعدم قدرتها على تحديد هدف واضح للقتال قد اسهم في انهك الثورة . ولكن ذلك يجب الا يدفعنا الى اهمال العامل الموضوعي . فقد استخدم البريطانيون قمرتين عسكريتين وعددا من اسراب الطائرات والبوليس وقوة حرس الحدود الاردني بالإضافة للقوة اليهودية المساعدة المؤلفة من ٦ آلاف ، ورموا ذلك كله للهيمنة على الموقف ،

مدد من الفلاحين لجرد حيازتهم على اسلحة ، وان استعراضا سريعا لجداول اسباء اولئك الذين ارسلوا الى السجن او الى المشنقة ترينا ان الغالبية الساحقة كانوا من فقراء الفلاحين ، وعلى سبيل المثال فقد « حكم على جميع سكان قرية عين كارم ، وعددهم ثلاثة آلاف ، ان يسروا عشرة كيلومترات يوميا ليثبتوا وجودهم لدى مركز البوليس » (٩١) . وفي تلك الفترة كانت بريطانيا قد أصدرت احكامها بالسجن ، مددا طويلة على حوالي ٢٠٠٠ عربي ، وهدمت أكثر من ٥ الاف بيت ، واعدم شنقا في سجن عكا ١٤٨ شخصا ، وبلغ عدد المعتقلين لمدد مختلفة اكثر من خمسين الفا (٩٢) .

كانت بريطانيا ، التي عدلت في تشرين الثاني ١٩٣٨ عن التقسيم الذي اوصى به تقرير لجنة بيل ، آخذة في محاولة كسب الوقت ، وهنا يجيء مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن في شباط ١٩٣٩ نموذجًا لتلك الصنفية المشبوهة التي كانت تجري طوال الوقت بصمت بين قيادة الثورة الفلسطينية وبين البريطانيين الذين كانوا يعرفون يقينا استعداد تلك القيادة للمساومة في أية لحظة ، وبالطبع لم يذهب جمال الحسيني وحده الى المائدة المستديرة في لندن ، بل ذهب معه ممثلو الدول العربية « المستقلة » انذاك ، وهكذا فقد قدر للانظمة العربية التي كانت خاضعة للاستعمار ان تملي ارادتها مرة ثانية في اقل من عامين على عرب فلسطين ، بواسطة ذلك الالتقاء (الكامن والمحتمل) في مصالح جميع الذين كانوا جالسين حول تلك المائدة المستديرة في لندن .

ان الكلمات التي القاها جمال الحسيني ، والامير فيصل (ممثل السعودية) والامير حسين (ممثل اليمن) وعلي ماهر (ممثل مصر) ونوري السعيد (ممثل العراق) — الذي اعلن انه يتكلم «كصديق حميم لبريطانيا العظمى والذي لا يرغب بقول كلمة واحدة تجرح شعور أي بريطاني لانه يشعر بصداقته نحوهم من أعناق قلبه » (٩٣) . ان تلك الكلمات لم تؤكد الا نجاح خطة بريطانيا التي اختنقت بها بدعة طوال عقد من الزمن ازاء قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية : فهي لم تفرضها ، واقتتها دائما على طرفنجسر مفتوح ، وكان البريطانيون واثنين من أن العراق والسعودية « مستعدتان لاستخدام نفوذها لدى زعماء فلسطين لوضع